

مشيئة الله تعالى وإرادته(1)

<"xml encoding="UTF-8?">



المبحث الأول: مراتب صدور الفعل من الله تعالى

1 - العلم

2 - المشيئة

3 - الإرادة

4 - القدر

5 - القضاء

6 - الإمضاء

حديث شريف :

قال الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)

“عَلِمَ وشَاءَ وأَرَادَ وَقَدَّرَ وقَضَى وأَمَضَى

... بعلمه كانت المشيئة

وبمشيئته كانت الإرادة

وبإرادته كان التقدير

وبتقديره كان القضاء

وبقضائه كان الإمضاء

والعلم متقدّم على المشيئة

والمشيئة ثانية

والإرادة ثالثة

والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء...

الصفحة 251

فبالعلم علم الأشياء قبل كونها

وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها، وأنشأها قبل إظهارها

وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها

وبالتقدير قدّر أقواتها، وعرف أولها وآخرها

وبالقضاء أبان للناس أماكنها، ودلّهم عليها

وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها

وذلك تقدير العزيز العليم”(1)

معنى مراتب الفعل الإلهي :

قال الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام): “... لا يكون إلّا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى”

ثمّ عرف الإمام(عليه السلام) هذه المراحل كما يلي:

المشيئة: الذكر الأوّل.

الإرادة: العزيمة على ما شاء.

القدر: وضع الحدود.

القضاء: إقامة العين(2).

وفي حديث آخر عنه (عليه السلام):

المشيّة: همّه بالشيء.

الإرادة: إتمامه على المشيّة.

القدر: الهندسة من الطول والعرض والبقاء.

ثم قال (عليه السلام): إنّ الله إذا شاء شيئاً أَرادَه، وإذا أَرادَه قَدَرَه، وإذا قَدَرَه قضاه، وإذا قضاه

1- الكافي، الشيخ الكليني: ج 1، كتاب التوحيد، باب البدء، ح 16، ص 148 - 149.

2- الكافي، الشيخ الكليني: ج 1، كتاب التوحيد، باب الجبر والقدر، ح 4، ص 158.

الصفحة 252

أمضاه (1).

وجاء في حديث آخر عنه (عليه السلام):

المشيّة: ابتداء الفعل.

الإرادة: الثبوت عليه.

القدر: تقدير الشيء من طوله وعرضه.

وإذا قضى أمضاه، فذلك الذي لا مردّ له (2).

وجاء في حديث آخر عنه (عليه السلام):

المشيّة: الاهتمام بالشيء.

الإرادة: إتمام ذلك الشيء (3).

1- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج 5، ب 3، ح 69، ص 122.

2- المصدر السابق: ح 68، ص 122.

المبحث الثاني: معنى وأقسام مشيئة الله تعالى

معنى المشيئة :

المشيئة عبارة عن الاهتمام بفعل تمهيداً للقصد والميل القاطع نحو ذلك الفعل(1).

أقسام مشيئة الله تعالى :

1 - مشيئة حتمية (مشيئة حتم).

2 - مشيئة غير حتمية (مشيئة عزم).

حديث شريف :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "إنَّ لله مشيئتين: مشيئة حتم، ومشيئة عزم..."(2).

1- هذا المعنى مقتبس من الأحاديث الشريفة التي ذكرناها في المبحث السابق.

2- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج 5، ب 3، ح 73، ص 124.

المبحث الثالث: خصائص مشيئة الله تعالى

1- العلم الإلهي بوجود الحكمة والمصلحة في فعل معيّن هو الذي يدعو الله إلى مشيئة هذا الفعل.

فالمشيئة - في الواقع - منبعثة من العلم، ولكن لا يمكن القول بأنّ هذا العلم هو المشيئة؛ لأنّ ماهية "العلم" غير ماهية "المشيئة".

ولهذا جاز القول: "إن شاء الله".

ولم يجز القول: "إن علم الله"(1).

2 - إنّ مشيئة الله مُحدثة، وهي من صفات الله الفعلية.

أحاديث أهل البيت(عليهم السلام) حول حدوث المشيئة :

قال الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام): "المشيئة والإرادة من صفات الأفعال، فمن زعم أنّ الله تعالى لم يزل مريداً شائئاً فليس بموحّد"(2).

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام): "المشيئة مُحدثة"(3).

وعنه(عليه السلام): "خلق المشيئة قبل الأشياء، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة"(4).

وعنه(عليه السلام): "خلق الله المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة"(5).

1- هذا المعنى مقتبس من حديث شريف للإمام الصادق(عليه السلام).

انظر: الكافي، الشيخ الكليني: ج 1، كتاب التوحيد، باب الإرادة أنّها من صفات الفعل، ح 2، ص 109.

2- التوحيد، الصدوق: باب 55: باب المشيئة والإرادة، ح 5، ص 329.

3- الكافي، الشيخ الكليني: كتاب التوحيد، باب: الإرادة...، ح 7، ص 110. التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 11، ح 18، ص 143.

4- التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 55: باب المشيئة والإرادة، ح 8، ص 330.

5- الكافي، الشيخ الكليني: كتاب التوحيد، باب الإرادة ...، ح 4، ص 110. التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 11، ح 19، ص 143.

الصفحة 255

تنبيه :

ذكر العلامة المجلسي في بيان معنى "خلق الله المشيئة بنفسها" عدّة وجوه، منها: (1)

أولاً: "أن يكون المشيئة بنفسها كناية عن كونها لازمة لذاته تعالى غير متوقّفة على تعلّق إرادة أخرى بها، فيكون نسبة الخلق إليها مجازاً عن تحقّقها بنفسها منتزعة عن ذاته تعالى بلا توقّف على مشيئة أخرى".

ثانياً "لما كان ههنا مظنة شبهة هي أنّه إن كان الله عزّ وجلّ خلق الأشياء بالمشيئة فبِم خلق المشيئة، أَمْ مشيئة أخرى؟ فيلزم أن تكون قبل كلّ مشيئة مشيئة إلى ما لا نهاية له.

فأفاد الإمام(عليه السلام): أنَّ الأشياء مخلوقة بالمشيئة، وأمَّا المشيئة نفسها فلا يحتاج خلقها إلى مشيئة أخرى بل هي مخلوقة بنفسها..."

نظير ذلك:

1- "إنَّ الأشياء إنَّما توجد بالوجود، فأما الوجود نفسه فلا يفتقر إلى وجود آخر، بل إنَّما يوجد بنفسه".

2- "الشهوة في الحيوان مشتتة لذاتها، لذیذة بنفسها، وسائر الأشياء مرغوبة بالشهوة".

1- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج 4، ب 4، ذیل ج 20، ص 145 - 147.

الصفحة 256

المبحث الرابع: معنى الإرادة (لغة واصطلاحاً)

معنى الإرادة (في اللغة) :

الإرادة هي القصد والميل القاطع نحو الفعل(1).

معنى الإرادة (في الاصطلاح العقائدي): (2)

الإرادة صفة توجب ترجيح أحد طرفي ما يقع في دائرة القدرة.

توضيح ذلك:

من يمتلك القدرة يكون بين أمرين:

1 - إجراء القدرة (ترجيح جانب الفعل).

2 - عدم إجراء القدرة (ترجيح جانب الترك).

وترجيح أحد هذين الأمرين يحتاج إلى "مخصّص".

وهذا "المخصّص" هو "الإرادة".

أضف إلى ذلك:

1- انظر: الملخص في أصول الدين، الشريف المرتضى: الجزء الثاني، باب: الكلام في الإرادة وما يتعلّق بها، ص 355.

2- انظر: المصدر السابق، ص 372 - 373.

كنز الفوائد، أبو الفتح الكراچي: ج 1، فصل في المقدمات في صناعة الكلام، ص 317.

المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج 1، القول في كونه تعالى مريداً، ص 63. تجريد الاعتقاد، نصيرالدين الطوسي: المقصد الثالث، الفصل الأول، ص 192.

تلخيص المحصل، نصيرالدين الطوسي: الركن الثالث، القسم الثاني، ص 285.

قواعد العقائد، نصيرالدين الطوسي: الباب الثاني، إرادته تعالى، ص 55 - 56.

قواعد المرام، ميثم البحراني: القاعدة الرابعة، الركن الثالث، البحث الرابع، ص 88 - 89. كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد، العلامة الحلي: الباب الثاني، الإرادة. ص 179 - 180.

مناهج اليقين، العلامة الحلي: المنهج الرابع، البحث السابع، ص 171. نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلي: المسألة الثالثة، المبحث (11) المطلب (15): في الإرادة، ص 131.

إرشاد الطالبين، مقداد السيوري: مباحث التوحيد، إثبات الإرادة لله تعالى، ص 203.

اللوامع الإلهية، مقداد السيوري: اللامع الخامس، الفصل الثاني، البحث الثالث، ص 136.

الصفحة 257

يجد كلّ من يمتلك القدرة على الفعل أنّه قادر على أن:

1 - تصدر منه بعض الأفعال دون البعض الآخر.

2 - تصدر منه الأفعال في وقت دون غيره من الأوقات.

3 - تصدر منه الأفعال بصورة وكيفية دون صورة وكيفية أخرى.

فلا بدّ من أجل صدور الفعل - في وقت دون غيره وبصورة دون أخرى - إلى "مخصّص"، وهذا المخصّص هو الذي يطلق عليه "الإرادة".

تنبيه :

لا يخفى بأننا لا يمكننا اعتبار "القدرة" من الأمور:

1 - المخصصة والمرجحة لأحد طرفي الفعل والترك.

2 - المتمكنة من تخصيص الفعل بوجه دون غيره وبوقت دون غيره.

لأن "القدرة" شأنها "الإيجاد" فقط، وليس من شأنها "التخصيص" (1).

1- انظر: تلخيص المحصل، نصيرالدين الطوسي: الركن الثالث، القسم الثاني، ص 283.

قواعد المرام، ميثم البحراني: القاعدة الرابعة، الركن الثالث، البحث الرابع، ص 89 .

كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد، العلامة الحلي: الباب الثاني، الإرادة، ص 179.

كشف المرام، العلامة الحلي: المقصد الثالث، الفصل الثاني، المسألة الرابعة، ص 402.

مناهج اليقين، العلامة الحلي: المنهج الرابع، البحث السابع، ص 171. نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلي: المسألة الثالثة، المبحث (11)، المطلب (15): في الإرادة، ص 131. إرشاد الطالبين، مقداد السيوري: مباحث التوحيد، إثبات الإرادة لله تعالى، ص 204.

اللوامع الإلهية، مقداد السيوري: اللامع الثامن، المرصد الثاني، الفصل الأول، ص 201.

الصفحة 258

المبحث الخامس: أقسام إرادة الله تعالى

1 - إرادة الله لأفعال الإنسان الاختيارية.

وتسمى هذه الإرادة: "الإرادة التشريعية".

2 - إرادة الله تعالى لأفعال نفسه.

وتسمى هذه الإرادة: "الإرادة التكوينية" (1).

مثال إرادة الله التشريعية في القرآن :

قوله تعالى: { كونوا قوامين بالقسط } [النساء: 165]

إرادة الله هنا إرادة تشريعية، أي: طلب الله من مخاطبيه في هذه الآية أن يكونوا قوامين بالقسط.

مثال إرادة الله التكوينية في القرآن :

قوله تعالى: { كونوا قردة خاسئين } [البقرة، 65]

إرادة الله هنا إرادة تكوينية، ولهذا انقلب أصحاب السبب بعد هذا الخطاب إلى قردة خاسئين.

المقارنة بين الإرادتين في هاتين الآيتين :

لو أراد الله أن يكون مخاطبيه في قوله تعالى: { كونوا قوامين بالقسط } كما أراد الله أن يكون مخاطبيه في قوله تعالى: { كونوا قردة خاسئين } لكانوا كلّهم قوامين بالقسط شأؤوا أم أبوا، ولكنّه لو فعل ذلك ما استحقّوا أجراً ولا ثواباً إزاء طاعتهم، ولهذا أراد الله أن يكون مخاطبيه (من العباد المكلفين) قوامين بالقسط باختيارهم، فتكون الإرادة في هذه الآية مغايرة للإرادة في الآية الأخرى.

1- انظر: النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد: 25.

الصفحة 259

دليل وجود إرادة الله التشريعية (أي: دليل كونه تعالى مريداً لبعض أفعال عباده):

أمر الله العباد ببعض الأفعال، فيلزم ذلك أنّه يريد قيامهم بهذه الأفعال؛ لأنّ الحكيم لا يأمر إلاّ بما يريد(1).

دليل وجود إرادة الله التكوينية (أي: دليل كونه تعالى مريداً لأفعال نفسه):

1 - إنّ الله تعالى

صدرت منه بعض الأفعال دون غيرها.

وصدرت منه الأفعال في أوقات دون غيرها.

وصدرت منه الأفعال بصورة وكيفية دون غيرها.

وهذا يدل على لزوم وجود "مخصّص" قام بتحديد وقوع هذه الأفعال، وجعلها تقع في أوقات معيّنة وبصورة وكيفية خاصّة.

وهذا المخصّص هو "الإرادة"، فثبت كونه تعالى مريداً لأفعال نفسه(2).

2 - يتضمّن كلام الله أوامر ونواهي وإخبارات و...

ولا يقع الكلام على أحد هذه الوجوه إلّا بعد إرادته تعالى له، وهذه الإرادة هي التي تخصّص كلام الله ليكون أمراً أو

نهياً أو إخباراً و... ولولا كونه تعالى مريداً لما وقع منه الأمر أمراً ولا الخبر خبراً، فوقع الكلام على إحدى هذه الوجوه يدل على كونه تعالى مريداً(3).

1- انظر: النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد: 26 - 27.

الملخص في أصول الدين، الشريف المرتضى: الجزء الثالث، باب الكلام في الإرادة وما يتعلق بها، ص 385 - 386.

2- انظر: النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد: 26.

تلخيص المحصل، نصيرالدين الطوسي: الركن الثالث، القسم الثاني، ص 281 تجريد الاعتقاد، نصيرالدين الطوسي: المقصد الثالث، الفصل الأول، ص 192.

قواعد المرام، ميثم البحراني: القاعدة الرابعة، الركن الثالث، البحث الرابع، ص 89 .

كشف المراد، العلامة الحلي: المقصد الثالث، الفصل الثاني، المسألة الرابعة، ص 401 - 402.

اللوامع الإلهية، مقداد السيوري: اللامع الثامن، المرصد الثاني، الفصل الأول، ص 201.

3- انظر: الملخص في أصول الدين، الشريف المرتضى، الجزء الثالث، باب: الكلام في الإرادة، ص 357.

رسائل الشريف المرتضى: ج 1، رسالة (8)، المسألة الرابعة، ص 376.

شرح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى: كونه تعالى مريداً وكارهاً، ص 56.

الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الأول، الفصل الثاني، ص 58.

المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج 1، القول في كونه تعالى مريداً، ص 64.

المسلك في أصول الدين، المحقق الحلي: النظر الأول، المطب الثاني، ص 50 .